

## الحج في الأدب العربي مختارات شعرية

إعداد محمد علي المقدادي

### عيد الأضحى المبارك

أحمد الغزاوي

(عيدٌ) به تتضاعفُ الأفراحُ  
أضحى (الحجيج) به سعيداً هانئاً  
يستقبل الغفران فيه مكبراً  
ظفروا بعفو الله واعتصموا به  
وكانما هم في المناسك كلها  
بالحمد والشكران لله الذي  
يتهافتون على الحطيم وزمزم  
وقلوبهم من بهجة خفاقة  
وتلج بالتوحيد من أعماقها  
تخشى من الأوزار وهي محيطة

ومناطه الأجسام والأرواح  
يزهو به الإمساء والإصباح  
وتفيض منه (مشاعر) وبطاح  
في كل ما هو طاعة وفلاح  
أرج يطيب نسيمه الفواح  
هو للعباد الواهب المنأح  
في نشوة منها القلوب تراح  
كادت تطير وما لهن جناح  
وتبكت الإلحاد وهو لقاح  
بالأرض والأخطار وهي جراح

وتطوفُ بالبيت الحرام مَثَابَةً  
 وكأنما الأنفاس منها جِذْوَةٌ  
 نزلت بها الأحداث وهي كوارث  
 شتى ومنها القهر والأقراخُ  
 الله أكبر ما تألَّقَ كوكبٌ  
 وانجَابَ ليل واستهلَّ صباحُ  
 ولينعم الحجاج بالفوز الذي  
 هو في المعاد ذخيرة ورباحُ  
 ولينصرنَّ اللهُ كلَّ موحدٍ  
 وله الهدى في العالمين سلاحُ

## لبيك

حسين عرب

لبيك ياربَّ الحجيج، جموعه وفدت عليك  
 ترجو المثابة في حماك، وتبتغي الزلفى لديك  
 لبيك والآمال والإفضال، من نُعمى يديك  
 لبي لك العبد المطيع، وجاء مُبتهلاً إليك

\*\*\*

هذي الجموعُ تدفقت منها المسالك والبطاحُ  
 قطعوا لك الغبراء، والدأماء، واجتازوا الرياحُ  
 متضرعين إليك، مُستهددين، يرجون السَّمَّاحُ  
 لبيك في الليل البهيم، وفي الغدوِّ وفي الرِّوَّاحُ

\*\*\*

هذا الصباح يضحُّ بالتهليل، يتبعه الدعاء  
 هذا السماء يضحُّ بالتكبير، يبعثه الرجاء  
 في الأرض تلبية تفيض بها القلوب إلى السماء  
 لبيك في حرِّ الهجير وفي الصباح وفي المساء

بَيْنَ الْمَضَارِبِ فِي الْبَطَاحِ ، وَفِي حِمَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ  
عِنْدَ الْمَحْصَبِ أَوْ بِأَرْجَاءِ الْحَطِيمِ أَوْ الْمَقَامِ  
مُهَاجٍ وَأُرُوَاحٍ تَطُوفُ بِهَا كَمَا طَافَ الْحَمَامِ  
لَبَيْكَ تَسْأَلُكَ الْهَدَايَةَ وَالْعَنَايَةَ وَالسَّلَامَ

\*\*\*

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ يَا حَامِيَ حِمَى الْبَيْتِ الْأَمِينِ  
يَا مُسَبِّلَ الرَّحْمَاتِ ، تَغْسِلُ مِنْ خَطَايَا الْمَذْنِبِينَ  
إِيَّاكَ نَعْبُدُ مُخْلِصِينَ ، وَمَا بغيرِكَ نَسْتَعِينُ  
لَبَيْكَ سَبَّحْنَا بِحَمْدِكَ ، فَاهْدِنَا نَهْجَ الْيَقِينِ

\*\*\*

يَا كَاشِفَ الضُّرِّ صَفْحَاءً عَنِ جِرَائِمِنَا  
لَقَدْ أَحْطَاطتْ بِنَا يَا رَبُّ بِأَسَاءِ  
نَشْكُو إِلَيْكَ خَطُوبًا لَا نُطِيقُ لَهَا  
حَمَلًا وَنَحْنُ بِهَا حَقًّا أَحْقَاءُ  
زَلَزَلْتُ تَخْشَعُ الصُّمُّ الصَّلَابُ لَهَا  
وَكَيْفَ تَقْوَى عَلَى الزَّلْزَالِ شَمَاءُ  
أَقَامَ سَبْعًا يَرْجُ الْأَرْضُ فَاَنْصَدَعَتْ  
عَنْ مَنْظَرٍ مِنْهُ عَيْنُ الشَّمْسِ عَشْوَاءُ  
بَحْرٌ مِنَ النَّارِ تَجْرِي فَوْقَهُ سَفْنٌ  
مِنَ الْهَضَابِ لَهَا فِي الْأَرْضِ إِرْسَاءُ  
تَرْمِي لَهَا شَرْرًا كَالْقَصْرِ طَائِثَةٌ  
كَأَنَّهَا دَيْمَةٌ تَنْصَبُ هَطْلَاءُ

تنشق منها بيوت الصخر إن زفرت  
 رُعباً وترعد مثل السَّعْفِ أضواء  
 منها تكاثف في الجوِّ الدُّخانُ إلى  
 أن عادت الشمسُ منه وهي دهماء  
 قد أثرت سعةً في البدرِ لفتحها  
 فليلة التَّمِّ بعد النور ليلاء  
 تحدث النَّيِّراتِ السَّبِيعِ السُّنُّها  
 بما تلاقى بها تحت الثرى الماء  
 وقد أحاطَ لظاها بالبروج إلى  
 أن كادَ يُلحِقها بالأرض أهواء  
 فيالها آيةٌ من معجزاتِ رسو  
 ل الله يـعقلها القوم الألباء  
 فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت  
 منّا الذنوبُ وساء القلب أسواء  
 فاسمح وهب وتفضل بالرضى كرماً  
 واصفح فكلُّ لفرطِ الجهلِ خطاء  
 فقومٌ يُونس لما آمنوا كشف الت  
 —عذيب عنهم وعمّ القوم نعاء  
 ونحنُ أمّةٌ هذا المصطفى ولنا  
 منه إلى عفوك المرجو دعاء  
 هذا الرسول الذي لولاه ما سلكت  
 محجةً في سبيل الله بيضاء

فارحم وصلّ على المختار ما خطبتُ  
على علا منبر الأوراق ورقاء

\*\*\*

دار الحبيب أحقُّ أن تهواها  
وتحنُّ من طربٍ إلى ذكراها  
وعلى الجفونِ متى هممت بزورةٍ  
يا ابن الكرام عليك أن تغشاها  
فلأنت أنت إذا حلت بطيبةٍ  
وظللت ترتع في ظلال رباها  
مغنى الجمال مئى الخواطرِ والتي  
سلبت عقول العاشقين حلاها  
لا تحسب المسك الزكي كثر بها  
هيهات أين المسك من رباها!  
طابت فإن تبع التطيب يا فتى  
فأدم على الساعات لثم ثراها  
وابشر ففى الخبر الصحيح مقرراً  
أن الإله بطابة سَمَّها  
واختصها بالطيبين لطيبها  
واختارها ودعا إلى سكنها  
لا كالمدينة منزل وكفى لها  
شرفاً حلول محمد بفناها  
حظيت بهجرة خير من وطئ الثرى  
وأجلهم قدراً فكيف تراها

كُلُّ الْبِلَادِ إِذَا ذُكِرْنَ<sup>(١)</sup> كَأَحْرَفٍ  
 فِي اسْمِ الْمَدِينَةِ لَا خَلَّتْ مَعْنَاهَا  
 حَاشَا مُسَمَّى الْقُدْسِ فَهِيَ قَرِيبَةٌ  
 مِنْهَا وَمَكَّةَ إِنَّهَا إِيَّاهَا  
 لَا فَرَقَ<sup>(٢)</sup> إِلَّا أَنْ تَمَّ لَطِيفَةٌ  
 مَهْمَا بَدَتْ يَجْلُو الظَّلَامَ سَنَاهَا  
 جَزَمَ الْجَمِيعُ بِأَنَّ خَيْرَ الْأَرْضِ مَا  
 قَدْ حَاطَ ذَاتَ الْمُصْطَفَى وَحَوَّاهَا  
 وَنَعَمَ لَقَدْ صَدَقُوا بِسَاكِنِهَا عَلَتْ  
 كَالنَّفْسِ حِينَ زَكَتْ زَكَاةً وَأَوَّاهَا  
 وَبِهَذِهِ ظَهَرَتْ مَزِيَّةٌ طَيِّبَةٌ  
 فَغَدَتْ وَكُلُّ الْفَضْلِ فِي مَعْنَاهَا  
 حَتَّى لَقَدْ خُصَّتْ بِرَوْضَةِ جَنَّةٍ  
 اللَّهُ شَرَّفَهَا بِهَا وَحَبَّأَهَا  
 مَا بَيْنَ قَبْرِ النَّبِيِّ وَمَنْبَرٍ  
 حَيَّا الْإِلَهَ رَسُولَهُ وَسَقَّاهَا  
 هَذَا مُحَاسِنُهَا فَهَلْ مِنْ عَاشِقٍ  
 كَلِيفٍ شَحِيحٍ بَاخِلٍ بِنَوَّاهَا  
 إِنِّي لِأَرْهَبُ مِنْ تَوَقُّعِ بَيْنِهَا  
 فَيُظَلُّ قَلْبِي مَوْجَعًا أَوْهَاهَا  
 وَلَقَلَّمَا أَبْصَرْتُ حَالَ مَوْدِعٍ  
 إِلَّا رَثْتُ نَفْسِي لَهُ وَشَجَّاهَا

فَلَكُمْ أَرَكَمَ قَافِلِينَ جَمَاعَةً  
 فِي إِثْرٍ أُخْرَى طَالِبِينَ سِوَاهَا  
 قَسَمًا لَقَدْ أَذَكِي فَوَادِي بَيْنَكُمْ  
 نَارًا وَفَجَّرَ مُقَلَّتِي مِيَّاهَا  
 إِنْ كَانَ يُعْجِزُكُمْ طِلَابُ فَضِيلَةٍ  
 فَالْخَيْرُ أَجْمَعُهُ لَدَى مَثْوَاهَا  
 أَوْ خِفْتُمْ ضَرَاءَهَا (٣) فَتَأَمَّلُوا  
 بَرَكَاتٍ بُلِغْتَهَا فَمَا أَزْكَاهَا  
 أَفَّ لِمَنْ يَبْغِي الْكَثِيرَ لَشَهْوَةٍ  
 وَرَفَاهَةٍ لَمْ يَدْرِ مَا عُقْبَاهَا  
 وَالْعَيْشُ مَا يَكْفِي وَلَيْسَ هُوَ الَّذِي  
 يُطْغِي النُّفُوسَ وَلَا خَسِيسَ مُنَاهَا  
 يَارِبُّ أَسْأَلُ مِنْكَ فَضْلَ قِنَاعَةٍ  
 بِسِّيَرِهَا وَتَحَبُّبًا لِجِمَاهَا  
 وَرِضَاكَ عَنِّي دَائِمًا وَلِزُومِهَا  
 حَتَّى تُوَافِيَ مُهْجَتِي أُخْرَاهَا  
 فَإِنَّ الَّذِي أُعْطِيَتْ نَفْسِي سُؤْلَهَا  
 وَقَبِلَتْ دَعْوَتَهَا فَيَا بُشْرَاهَا  
 بِجَوَارِ أَوْفَى الْعَالَمِينَ بِذِمَّةٍ  
 وَأَعَزِّ مَنْ بِالْقُرْبِ مِنْهُ يُبَاهِي  
 مَنْ جَاءَ بِالْآيَاتِ وَالنُّورِ الَّذِي  
 دَاوَى الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى (٤) فَشَفَاهَا

أُولَى الْأَنْامِ بِخُطَّةِ الشَّرَفِ الَّتِي  
تُدْعَى الْوَسِيلَةَ خَيْرٌ مِنْ يُعْطَاهَا  
إِنْسَانٌ عَيْنِ الْكَوْنِ سَرٌّ وَجُودِهِ<sup>(٥)</sup>  
«يس» إكسِيرُ الْمُحَامِدِ «طه»<sup>(٦)</sup>  
حَسْبِي فَلَسْتُ أَفِي بِذَكَرِ صِفَاتِهِ  
وَلَوْ أَنَّ لِي عَدَدَ الْحَصَى أَفْوَاهَا<sup>(٧)</sup>  
كَثُرَتْ مُحَاسِنُهُ فَأَعْجَزَ حَصْرُهَا  
وَعَدْتُ وَمَا نُلِقِي لَهَا أَشْبَاهَا  
إِنِّي اهْتَدَيْتُ مِنَ الْكِتَابِ بِآيَةٍ  
فَعَلِمْتُ أَنَّ عُلَاهُ لَيْسَ يُضَاهِي  
وَرَأَيْتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ مُحَدَّدًا  
وَفَضَائِلُ الْمُخْتَارَةِ لَا تَتَنَاهَى  
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى تَقْصِي مَدْحِ مَنْ  
قَالَ الْإِلَهِ لَهُ - وَحَسْبُكَ جَاهَا -  
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا﴾  
- فِيمَا يَقُولُ - ﴿يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾؟!  
هَذَا الْفَخَارُ فَهَلْ سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ  
وَاهَا لِنَشْأَتِهِ الْكَرِيمَةِ وَاهَا!  
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا؛ فَبِذَلِكَ  
تَهْدَى النُّفُوسُ لِرُشْدِهَا وَغِنَاهَا<sup>(٨)</sup>  
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ غَيْرَ مُقَيَّدٍ  
وَعَلَيْهِ مِنْ بَرَكَاتِهِ أَنْمَاهَا



وعلى الأكابرِ آلهِ سُرجِ الهدى  
أحبِّبْ<sup>(٩)</sup> بعترتهِ وَمَنْ والها  
وكذا السَّلامُ عليهِ ثمَّ عليهم  
وعلى عصابتهِ التي زكَّأها  
أعني الكِرامِ أُولي النُّهى أصحابه  
فئةِ التُّقى وَمَنْ اهتدى بِهَداها  
والحمدُ لله الكِريمِ وهذه  
نَجَزَتْ وظنِّي أَنَّهُ يرضأها

### الهوامش :

- (١) في الوفاء وسبل الهدى «ذكرت».
- (٢) في الوفاء «لا غرو».
- (٣) في الوفاء وسبل الهدى ضراً.
- (٤) قال محقق تحقيق النصرة: في نسخة (آ) والأصل: الأذى.
- (٥) أنظر مجموع الفتاوى (١١: ٩٤-٩٨).
- (٦) أنظر الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة ﷺ (٣٠، ٢٠٤، ٢٧٢) ودلائل النبوة للبيهقي (١: ١٥٨، ١٥٩) حيث ذكرهما ﷺ في أسمائه ﷺ، والإشارة للحافظ مغلطي، وقد حققته والحمد لله وحده، وانظر الدر المنثور أيضاً عند الآيتين، من سورة طه، يس، والله أعلم.
- (٧) في التحقيق «أفداها» ولعله من المطبعة.
- (٨) في التحقيق «وعناها» بالعين المهملة، ولعله من المطبعة أيضاً.
- (٩) في سبل الهدى، والفضائل «أكرم».